

جامعة وهران 1 " احمد بن بلة "
كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية
قسم علوم الاعلام والاتصال
ماستر 1 سمعي بصري/ سداسي 2
مقياس : قضايا راهنة / الأستاذ عباسة جيلالي

المحاضرة الرابعة : الأقليات المسلمة بين عزلة الانقسام وممارسات الاضطهاد

مقدمة

تشكل الأقليات المسلمة في العالم نسبة معتبرة من الأمة الإسلامية الأمر الذي يجعل من أوضاع هذه الأقليات هما إسلاميا وعربيا كبيرا لا سيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 حيث أصبحت هذه الأقليات تتعرض في الغرب عموما والولايات المتحدة على وجه الخصوص لهجمات واعتداءات شرسة غير مسبوقة.

غير أنه وعلى الرغم من كل مما تتعرض له هذه الأقليات من تعديات بالمجتمع الغربي والاضطهاد في بعض الدول الآسيوية والفقير والأمراض بدول إفريقية وضعف الدعم من الدول الإسلامية رغم كل هذا، فإنها لا تزال تشكل خط الدفاع الأول عن الإسلام بتلك الديار وما يلصق به من افتراءات وخاصة بالعالم الغربي الذي يشن عليه أعداء الإسلام حملات متتالية ضد الرسول الكريم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وكذا القرآن والدين الإسلامي بشكل عام.

تاريخ الأقليات الإسلامية

الأقليات المسلمة كظاهرة تاريخية ليست وليدة الحركة الاستعمارية كما يتبادر إلى أذهان البعض بل هي تعود إلى صدر الإسلام حيث كانت دعوة الرسول (ص) لا تزال في بدايتها. وكانت أول أقلية تلك التي هاجرت إلى الحبشة (أثيوبيا) وقد أعطاهما النجاشي حقوقها وتفاعلت مع الأكثرية ورافقت الجيوش الحبشية إلى موقع الحرب لكن النجاشي لم يشأ أن تشارك مع جيوشه.

وحسب المصادر التاريخية قد نشأت أول أقلية مسلمة في أوروبا في سنة (81 هـ - 700 م) وهذا قبل الفتح الإسلامي للأندلس بحوالي 12 سنة وذلك عندما هاجر عدد من المسلمين من الضفة الأخرى للبحر الأبيض المتوسط إلى جزيرة "قوصرة" في جنوب إيطاليا وعملوا على نشر الإسلام وتشيد المساجد.

وعلى إثر ذلك توسع التواجد الإسلامي إلى جزيرة صقلية وإلى مدن إيطالية أخرى ولا تزال اللغة الإيطالية إلى يومنا هذا مليئة بالمفردات اللغوية العربية بفضل تأثير هؤلاء في المجتمع الإيطالي.

وفي فرنسا أسست أول أقلية مسلمة في حوالي 712 م بعد بضع سنوات من الفتح الإسلامي للأندلس حيث هاجر عدد من المسلمين إلى عدة مدن فرنسية وذلك إلى غاية مدينة ليون، وقد فتح المسلمون جزيرة كورسيكا، مسقط رأس نابليون بونابرت، وظلت لمدة 134 سنة خاضعة للحكم الإسلامي.

كما ظهرت أقليات مسلمة في اليونان قبل نهاية القرن الهجري الأول خاصة بجزيرتي "كريت" و"رودس" اللتين هجر إليهما مسلمون من شمال إفريقيا لينتشر المسلمون بعد ذلك إلى وسط اليونان ومقدونيا. (1)

وبالنسبة لروسيا تشير المصادر التاريخية إلى أن الإسلام وصل إليها في النصف الأول من القرن الهجري الأول عندما فتح المسلمون مدينة درينت بمنطقة بشكيريا (داغستان) بالقوقاز وأطلقوا عليها اسم مدينة باب الأبواب.

واستمر التوسع الإسلامي في العصرين الأموي والعباسي إلى منطقة بلاد حوض نهر الفولغا ثم في عهد التتار إلى غاية مناطق من موسكو، وكانت أول دولة إسلامية في فولغا بقاريا سنة 922 م وهي حاليا جمهورية إسلامية داخل فدرالية روسيا إلى جانب عدة جمهوريات إسلامية أخرى تعيش ثلاث منها حالات اضطراب بفعل مطالبة مجموعات مسلحة إسلامية بالاستقلال عن الفيدرالية وهي جمهوريات الشيشان وداغستان وأنغوشيا⁽²⁾.

ويتمركز المسلمون الروس حاليا خاصة في المناطق الواقعة بين البحر الأسود وبحر قزوين ومنها اديزو، بالكارس، نوغاييس، والشركس، والشيشان والأنغوش وكاراشاي بلكار، إضافة إلى منطقة شرق حوض نهر الفولغا لاسيما منهم التتار وبشكير كما يقيم المسلمون أيضا في تجعيدة كراي أوليانوفسك وسامراء ونيجني نوفغورود وتيومن وموسكو وأقاليم لينينغراد ومناطق أخرى من روسيا⁽³⁾.

وقد كان للمسلمين دور كبير أثناء الحرب العالمية الثانية من خلال مشاركتهم الفعالة ضمن جيش الاتحاد السوفيتي ضد النازيين.

وتشير مصادر روسية إلى أن الفريق من المجندين الذي وصل إلى قلعة بريست على حدود الاتحاد السوفيتي الغربية في صيف عام 1941 قبل أسبوع من بدء الحرب، كان من المسلمين الذين قدموا من شمال القوقاز.

وقد أبيدوا جميعا حيث كان المسلم الأنغوشي أوماتغيري برهانوييف آخر مدافع عن القلعة وخرج من خندقه بعدما فقد جميع رفاقه الذين تصدوا للغزاة الألمان واستنفد ما كان بحوزته من الذخيرة، وهو يقول "أنا جندي روسي". كما ضمت الفرقة التي أوقفت الغزاة الألمان عند مشارف العاصمة موسكو في خريف 1941 وعرفت باسم قائدها بانفيلوف، مسلمين كثيرين من أصول أوزبكية وكازاخية وطاجيك.

وقد ذهب الكثير من المسلمين إلى جبهة القتال، منطلقين من جامع موسكو وهو المسجد الوحيد الذي لم تغلقه السلطات السوفيتية في الشطر الأوروبي من البلاد في الحقبة التي سبقت الحرب الوطنية الكبرى.

وحسب بعض الروايات السوفيتية فإن مسلمين ومنهم عزيز زاهدوف وعبد الحكيم إسماعيلوف هم من نصبوا في أبريل 1945 علم الجيش السوفيتي على السطح العلوي لمبنى البرلمان الألماني إيدانا بالانتصار على الألمان.

وإلى جانب ذلك انقذ تثار القرم والأذربيجانيون وممثلو الشعوب المسلمة الأخرى حياة الكثير من اليهود الذين أقدم النازيون على إبادةهم حيث وفر المسلمون الحماية لهم وكأنهم أقرباؤهم.

غير أنه وعلى الرغم من كل هذه التضحيات قام الزعيم السوفيتي ستالين بترحيل المسلمين من الشيشان والأنغوش والقرشاي وتثار القرم وكذا أبناء الشعوب السوفيتية الأخرى إلى سيبيريا وكازاخستان في عام 1944، متحججا بوجود "خونة" ضمن هذه الشعوب وتسبب ذلك في موت الكثير منهم ولم يتمكن من بقي على قيد الحياة العودة إلى ديارهم إلا بعد وفاة ستالين⁽⁴⁾.

ويمثل حاليا تعداد الأقليات المسلمين في العالم أزيد من 500 مليون وهو ما يمثل ربع العدد الإجمالي للمسلمين المقدر بأزيد من مليارين نسمة.

توزع الأقليات المسلمة عبر العالم

تشكل بعض الأقليات قوة معتبرة في جميع النواحي العلمية والثقافية والحضارية وغيرها مثلما هو الشأن في بعض الدول الآسيوية ومنها الهند التي يقدر بها عدد المسلمين بأكثر من 200 مليون نسمة.

وهكذا فإن الأقليات المسلمة تتوزع على العالم أجمع وبجميع القارات: آسيا وإفريقيا وأوروبا وأستراليا وأمريكا .

والحقيقة أن كثيرا من حكومات الدول وخاصة العالم الثالث، التي تشمل على أقليات إسلامية تميل إلى التقليل من حجمها الحقيقي تجنباً لمواجهة مطالب اقتصادية وتعليمية واجتماعية وحتى سياسية بها.

وبالنظر إلى عدد الأقليات المسلمة وتوزيعها الجغرافي يمكن لها أن تشكل قوة ورصيда استراتيجية معتبرا يسمح لها بالتأثير في مجرى الأحداث التي يشهدها العالم وبما يخدم قضايا الأمة، وذلك إذا لقيت الدعم الكافي والعناية المتواصلة من قبل الأمة الإسلامية، وعرفت كيف تستثمر وجودها لتكون قوة ضغط على صناع القرار في العالم الغربي كما يحدث مع اللوبي اليهودي في قارتي أمريكا أوروبا.

واقع اوضاع الاقليات المسلمة

تعاني الأقليات المسلمة في العالم من ضعف الاهتمام من قبل إخوانهم بالأمة الإسلامية من جهة ومن اوضاع متدنية بالمقارنة مع مستوى الحياة بالمجتمعات. و تعيش بعض الاقليات قلة الإمكانيات، والتهميش الاجتماعي والسياسي، وغيرها من العقبات والمشاكل.

وهناك مشاكل مرتبطة بالأقليات المسلمة نفسها والتي أدت إلى انقسامها وتفرقها حيث نجد في البلد الواحد بل وفي المدينة الواحدة الكثير من هم متشبثون بما يفرق هذه الأقليات لا بما يجمعها ويتعصبون للعرق والطائفة واللغة والمذهب وغيرها من الفروع التي يشجع لها من قبل أعداء الإسلام حتى تبقى الجالية المسلمة غير منظمة وضعيفة.

فبفعل الانتماء المذهبي أو الطائفي أو العرقي لا تزال الأقليات المسلمة مختلفة حتى في الأمور الدينية مثل أوقات الصلاة وبداية صوم رمضان والإفطار وتسبب ذلك حتى في خلافات فقهية يكون لها تداعيات وانعكاسات على وحدة صف الأقليات وتغذي نزعة الانقسامات وجرتومة التفرقة.

وقد أفقدتها هذه الانقسامات القدرة على الاجتماع على حد أدنى مشترك فيما بينها وتركتها في حالات من العزلة والانغلاق وأدى ذلك إلى تقوقعها على نفسها. كما يعاني المسلمون وخاصة في بعض الدول الإفريقية وحتى الآسيوية من الاستضعاف بسبب أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية. فعلى الرغم من كونهم يشكلون الأغلبية بالمقارنة مع أقليات أخرى إلا أنهم لا يشاركون في صنع القرار ووجودهم ضعيف في أجهزة إدارة شؤون البلاد.

حرب إبادة واضطهاد دائم لبعض الأقليات المسلمة بآسيا

لا تزال تتعرض بعض الأقليات المسلمة بآسيا إلى حرب إبادة كما هو الشأن في بورما (ميانمار حاليا) من قبل الطائفة البوذية التي تقوم بتذبيحهم وحرق قراهم وذلك أمام صمت المجتمع الدولي وتخاذل الدول الإسلامية.

ويوجد بأقاليم أركان بورما أكثر من عشرة ملايين مسلم (15 بالمائة من سكان البلاد) حقوقهم ضائعة، يقتلون ويرحلون عبر المحيط إلى أرض أخرى، وإن سلموا من الغرق يتعرضون للاعتقال في الدول المجاورة لأنهم غرباء.

وحسب المنظمة الدولية للاجئين فإن ما يصل إلى 75 ألف من مسلمي الروهينجا يسكنون في مخيمات مؤقتة في بورما وفي ظروف سيئة بعد عمليات الإبادة التي يتعرضون لها من قبل الطائفة البوذية في ولاية راخين⁽⁵⁾.

وقد وصل الإسلام إلى إقليم أركان في القرن السابع الميلادي، وأصبحت أركان دولة مسلمة مستقلة، حتى قام باحتلالها الملك البوذي البورمي (بوداباي)، في عام 1784م وضم الإقليم إلى بورما خوفاً من انتشار الإسلام في المنطقة، وعات في الأرض فساداً فدمر كثيراً من الآثار الإسلامية من مساجد ومدارس، وقتل العلماء والدعاة.

ومنذ تلك الحقبة، والمسلمون يتعرضون لكافة أنواع التنكيل والإبادة، ففي عام 1942م تعرض المسلمون لمذبحة وحشية كبرى من قبل البوذيين "الماغ" بعد حصولهم على الأسلحة والإمداد من قبل البوذيين البورمان والمستعمرين وغيرهم، راح ضحيتها أكثر من مائة ألف مسلم، أغلبهم من النساء والشيوخ والأطفال، وشردت مئات الآلاف خارج الوطن، ولا تزال هذه المأساة راسخة في ذاكرة مسلمي بورما إلى اليوم⁽⁶⁾.

كما تعرض المسلمون للطرد الجماعي المتكرر خارج الوطن بين أعوام 1962م و1991م حيث طرد قرابة المليون ونصف المليون مسلم إلى بنغلادش في أوضاع قاسية جداً.

ولا يزال مسلمو أراكان يتعرضون في كل حين لكل أنواع الظلم والاضطهاد من القتل والتهجير والتشريد والتضييق الاقتصادي والثقافي ومصادرة أراضيهم، بل مصادرة مواظنتهم بزعم مشابهتهم للبنغاليين في الدين واللغة والشكل وذلك لإذلالهم وإبقائهم ضعفا فقراء وإجبارهم على الرحيل من ديارهم⁽⁷⁾.

وفي الصين توجد اقلية مسلمة يفوق عددها 100 مليون حسب احصاءات غير رسمية وتتشكل من عدة اعراق على غرار الهوي، والأويغور، والكازاك، ودونغشيانغ، والقرغيز، وسالار، والطاجيك، والأوزبك، وبونان، والتتار. يتعرض مسلمو اقليم الأويغور الى كل انواع الاضطهاد حيث تقوم السلطات الصينية بحجز مليون شخص منهم ومنعهم من الصلاة والصيام وممارسة الشعائر الدينية وتمارس في حقهم مختلف انواع العذاب ويتم ارغامهم على شرب الخمر واكل لحم الخنزير. كما يتم الاعتقال في حقهم بسبب اللحجاب واللحية وإجبارهم على العمل بمصانع علامات غريبة.⁽⁸⁾

الاقلية المسلمة في الغرب

ومن جهتها تواجه الأقليات المسلمة في بلاد الغرب مشكلات عديدة وفي مقدمتها المفاضلة بين القدرة على الاندماج والمحافظة على الخصوصيات الدينية والثقافية أو العزلة وما ينطوي عنها من تهميش وضغوط كبيرة سيما وأن الاندماج الذي تقترحه الدول الغربية يعتبر اندماجا مشروطا فهو يقدم جانبا من الحقوق على حساب الهوية الثقافية.

وهكذا يجد المسلمون أنفسهم في وضع صعب للغاية لتحقيق التوازن بين المحافظة على هويتهم الثقافية وعدم الانعزال عن المجتمع الذي يعيشون فيه. وإلى جانب المشاكل الداخلية يواجه المسلمون في بلاد الغرب وخاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 حالات من الاضطهاد والتمييز العنصري والاعتداءات التي تصل أحيانا إلى القتل.

وحسب تقرير أصدره مجلس العلاقات الأمريكية-الإسلامية، بعد حوالي سنتين من هذه الأحداث فقد ارتفعت حالات التمييز والاضطهاد بنسبة 15 من المائة في ظرف سنة.

وأشار التقرير إلى تنوع طبيعة الاعتداءات فمنها القتل والضرب والتهمك والاعتداء على الممتلكات بالإتلاف والتدمير والتخريب، ناهيك عن حملات التشويه التي يمارسها الإعلام ضد الإسلام والمسلمين والعرب بشكل شبه يومي ويحرض بذلك على الاعتداء عليهم.⁽⁹⁾

وقد انتشرت ظاهرة معاداة الإسلام أو ما يسمى بـ"الاسلاموفوبية" في كل الدول الغربية، بل وأضحت سبيلا لكل من يريد الشهرة أو منصب سياسي أو الفوز في الانتخابات.

وعلى الرغم من كل هذه التحديات بدأ المسلمون في السنوات الأخيرة وخاصة بالولايات المتحدة الأمريكية يتداركون الوضع لتفادي الانقسامات ويعملون على تنظيم أنفسهم وتقوية وحدتهم ليكونوا قوة ضغط في العمل السياسي.

وقد ظهرت العديد من المؤسسات المتخصصة مثل المراكز البحثية والنوادي الاجتماعية والمدارس الإسلامية والمعاهد والكلية الشرعية، والمؤسسات الإعلامية التي تعمل في هذا الاتجاه وذلك بالتعاون مع مؤسسات إسلامية عالمية في البلاد العربية والإسلامية.

المراجع :

- (1)- عباسة الجليلي : العرب في مواجهة تحديات التنمية وتحديات العولمة. الطبعة الاولى 2014
- (2)- وكالة الانباء الروسية سبوتنيك (ريا نوفستي) .
- (3)- موقع القناة الفضائي " روسيا اليوم "
- (4)- وكالة الانباء الروسية , مصدر سابق
- (5)- وكالة الانباء الجزائرية (واج)
- (6)- يومية الاهالي اليمنية , 3 جويلية 2012
- (7)- المرجع نفسه
- (8)- الموقع الالكتروني للقناة الفضائية البريطانية (BBC)
- (9) - عباسة جليلي , العرب في مواجهة تحديات التنمية وتحديات العولمة. مرجع سابق